

إن "تعليم الكبار" هدف من أهداف الإسلامية . هذا الهدف، كان "تعليم الصغار" فيما بعد، يتطلب أعدادهم مسبقاً، الإلهية. في غار حراء، قبل أن يكلف بالرسالة، إلا في سن الأربعين حيث كان قد إستصفيت روحه "صلى الله عليه وسلم"، وصار أهلاً لما ينتظره من مسئولية كبرى وتبعه عظمى. في دار الأرقام ابن هذه الدار مع الرسول الأمانة في حياته الشريفة، نشر لها، ثم حملوها من بعده، كأنه بينهم حي. في القيام بالمسئولية، وصارت (دار الأرقم) تضيق بالأعداد الكثيرة التي أقبلت على الإسلام، وأرادت في صدق أن تعرف عن الإسلام، وكان منطقياً كذلك أن يظل المسجد، منذ ظهوره في فجر الدعوة الإسلامية، يقوم بالدور الأساسي في التربية الإسلامية، وأن لتواكب (حركة الحياة) في المجتمع (العلوم الفلسفية)، في عهد عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، فيدرس فيه "الفلسفة والمنطق الحديث والبلاغة والفقه"، قد جروا وراء عقولهم، واسترسلوا في التساؤل وصارت (الفلسفة) ضرورة من ضرورات الحياة الفكرية في المجتمع الإسلامي. وفي العصر العباسي الأول، للقيام بحركة الترجمة عن اللغات الأجنبية أول الأمر، ثم للبحث في هذه العلوم وتعليمها بعد ذلك، ولذلك يعتبرها هانز "أول جامعة إسلامية" وإلى جانب (المسجد) و (دار الحكمة) ظهرت بعد ذلك (قصور الخلفاء)، بمثابة مؤسسات علمية متخصصة، (يحج) إليها طلاب العلم في فرع من فروع المعرفة من كل مكان، منها منزل الرئيس ابن سينا وكذلك دار الإمام الغزالي التي كان يستقبل تلاميذه فيها بعد اعتكافه، واعتزاله بنظاميه نيسابور. وفي العصر، الأموي بدت الحاجة ماسة إلى تعليم الصغار في مكان خاص بهم، خوفاً على الجامع من عبث الأطفال وعدم تقيدهم بأصول النظافة. وكما ظل المسجد يرافق نظام تعليم الكبار في الإسلام، مشرق الدعوة الإسلامية وحتى اليوم، ظل (الكتاب) يرافق نظام تعليم الأطفال منذ العصر الأموي، وحتى اليوم – العالم الإسلامي، رغم إنشاء (نظام المدرسة) في نيسابور في القرن وانتشار هذا النظام في العالم الإسلامي، يعد إنشاء (المدرسة النظامية) في بغداد إلى الشام، ومنها انتقلت المدرسة "إلى مصر، وذلك منذ ثم ظهرت في شمال أفريقيا بعد ذلك بما يقرب من قرن". وتعددت، في الإسلام – وقد تنوعت الكتابيب – فإن الدراسة في هذه المرحلة الأولى لم تكن ارتجالية، ولم يترك للمعلم أمر اختيار موضوعات الدراسة كيفما يشاء، بل كانت أصلية، لها برامج يتوخاها المعلمون في مختلف الكتابيب، وذلك لإعداد التلاميذ للدراسة في حلقات الجوامع، أو في المدارس المختلفة التي [٤٥٤٤٤٤](#) [٤٥٤٤٤٤](#) [٤٥٤٤٤٤](#): من الأهمية بمكان أن نوضح ضرورة خلق لدى الكبار لكي يتعلموا وهناك حوافز مادية تناولها والكثيرون لكي يحفزوا الكبار على التعليم، غير أننا نعتقد أن شعبنا في الأمة العربية يؤمن بالدين إيماناً عميقاً، ولذلك يجب توضيح ما يتطلبه الدين في هذا الشأن، فالتعليم يؤدي إلى معرفة العلم والعلم يوضح آفاق العقل، وهما أمران متلازمان وقد رفع الله من شأن العلم والعلماء بل جعل خشية الله لا تكون إلا من العلماء، "إنما يخشى الله من عباده العلماء"، وكانت أول آية العلق: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" ونحن نجد في هذه وكذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى، يفتتح سورة القلم بالآية أي أن الله سبحانه وتعالى يقسم تأكيداً للخير الذي يعود على الناس من الكتابة السليمة التي تنفعهم. كما جاء في سورة الطور: "والطور وكتاب مسطور في رق لخرجنا منها بأهمية التعليم وإدارته، فمن المعلوم أن أدوات التعليم هي: قلم يكتب، يوضح ومادة يكتب عليها، وقد أقسم الله بهذه الأدوات الثلاثة فيما ذكرناه من الآيات، وهي الدواة على ما ذهب إليه جمهور المفسرين وأقسم بالقلم، وأقسم بالرق المنشور، ومن أمعن النظر في كتاب الله الكريم، وجد أن الله سبحانه وتعالى يقسم بكثير من مخلوقات تنويعها بشأنها. وينبغي علينا أن نوجه النظر إلى الحقيقة التي أكدها القرآن الكريم في أكثر من موضع، وهي أن نطلب العلم من أهله، فيقول سبحانه وتعالى في سورة النحل: "فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا بدليل تعلم لا يكون إلا بالسؤال من العلماء. ومما لا شك فيه أنه توجد في الديانات السماوية الكثير من التعاليم التي تحفز الناس على التعليم، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع". الأجر ولا خير في سائر الناس بعد". والدين يدعو الإنسان إلى أن يتعلم إلى أقصى الدرجات التي يستطيع أن يستوعبها عقله. فليس هناك حدا للعلم أو التعلم الذي ينتهي عنده العلم بل ينبغي على الإنسان أن يواصل البحث والتعلم. وعليه أن يبتعد عن غرور "أنصاف" العلماء الذين يظنون أنهم علما "إن الكريمة الآية: ففي سورة الإسراء: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا". وفي سورة يوسف: "وفوق كل ذي علم عليم". و**٤٥٤٤٤٤٤٤** **٤٥٤٤٤٤٤٤** **٤٥٤٤٤٤٤٤** **٤٥٤٤٤٤٤٤** خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً، ثم قال: "ما بال أقوال لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم ؟. وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقحون ولا يتعضون ؟. والله ليعلن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن من قوم جيرانهم ويتفقحون ويتعضون أو لا عاجلنهم العقوبة. ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء قل: الأشعرين، هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل وسلم فقالوا: يا رسول الله "ذكرت أقواما بخير وذكرتنا بشر، فما بالنا ؟

فقال: ليعلمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون، أو لا عالجهم العقوبة في الدنيا فقالوا يا رسول الله: أنفطن غيرنا ؟ فأعاد قوله عليهم، وأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضا فقالوا: أمهلنا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون". وأنت لترى في هذا الحديث من الحقائق ما يجدر التنبيه إليها: فالرسول عليه السلام لم يقر قوما على الجهالة بجانب قوم متعلمين. واعتبر بقاء الجاهلين على جهلهم وامتناع المتعلمين عن تعليمهم عصيانا لأوامر الله وشريعته. واعتبر ذلك أيضا "عدوانا" و "منكراً" يوجبان اللعنة والعذاب. وأعلن الحرب والعقوبة على الفريقين حتى يبادروا إلى التعلم والتعليم. بينهم. "ولئن كانت الحادثة قد وردت بشأن الأشعرين العلماء وجيرانهم الجهلاء. فإن الرسول (ص) أعلى ذلك المبدأ بصفة عامة، لا بخصوص الأشعرين وحدهم بدليل أن الأشعرين لما جاءوا يسألونه عن سر تخصيصهم بهذا الإنكار كما فهم الناس، لم يقل لهم أتم لهم أنتم المرادون بذلك، بل أعاد القوم العام الذي سلف ثلاث مرات دون أن يخصه بالأشعرين، إشعاراً بأن القضية قضية مبدأ وبذلك يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعلن مكافحة الأمية قبل أن تعلنه الدول المتحضرة في عصرنا هذا أربعة عشر قرناً، وأن هذا لعجب أن يصدر من نبي أمي في بيئة أمية لولا أنه يؤكد العلماء والمفسرون أن مدلول العلم يمتد لكل علم نافع مفيد للأمة في شئون الدين والدنيا، الإسلام يرفض على العالم أن يعلم. وعلى الجاهل أن يتعلم، وأنه من الواجب على الإنسان أن يسعى لتحصيل العلم، وعلى الدولة والمجتمع أن تيسر له الوصول إلى هذا الحق، السمحاء قد وضعت المنهج القويم لمحو الأمية، وكذلك تحفز الكبار لكي يتعلموا، وكما أحيا العلم قلوبا أمانتها الجهالات، وأثار عقولاً أطبقت ليها الظلومات، والسلام. "ما اكتسب ابن آدم أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يردّه عن ردى". فالعقل المكتمل يدرك الشر على حقيقته، ويدرك الخير على حقيقته، وهذا الإدراك من أكبر الحوافز على كره الشر ومحاولة الابتعاد عنه، وعلى حب الخير والعمل على الاستزادة منه، والعقل هو الذي يتحكم في أفعاله، ويستطيع أن يخضعها الصالح العام ويضعه فوق كل اعتبار، وعمل العقل هو الفكر، والتأمل ويجمع العلماء على أن العلم السليم يسهم في إيجاد العقل السليم، السليم دائماً وأبداً ضابطاً من ضوابط النفس وعاصماً من جموح الغرائز، ولكن العقل السليم يعصمها ويهيئها الإرادة وكل تربية فاضلة، سواء أكانت شريعة سماوية، أو نظماً وضعية، تجعل من أهدافها الأولى تربية الإرادة، وتقويتها وشحنها، فإذا حققنا ذلك في الكبار تأكد لنا ضمناً أننا سنحقق ذلك على نطاق واسع في الصغار أيضاً. الرجل بطلاً، وعلى الضد من ذلك تعمل التربية الفاسدة، سواء في البيت أو في المدرسة على خلق أشباح ضعيفة الإرادة، حائرة العزم، ترى الرأي لكنها تنكل عن تنفيذه، ولا ينبغي علينا جميعاً أن نؤمن بالفائدة العظمى للتعليم والتعلم، مهما كانت مستويات العلم التي استطعنا أن نصل إليها، وتؤمن على وجه الخصوص بضرورة تعبئة الجهود لتعليم الكبار. إن القول المأثور الذي توارد في التراث ونسب إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "اطلب العلم من المهد إلى اللحد". يحدد الفترة الزمنية لطلب العلم أو المرحلة العمرية، وهذا القول المأثور الذي تناقله التراث العربي الإسلامي التي تحت على التعلم وطلب العلم ونشره" يدعو إلى التأمل في نوع هذا الطلب ونوع العلم المطلوب، وبعض النظر عنهما فقد لا تجد إلا الإقرار بأن هذا النوع من الطلب كان يمثل مطلباً عاملاً وضرورة اجتماعية قائمة فضلاً عن ضرورتها الفردية وذلك يحكم المبادئ الفردية والاجتماعية مع الخالق والعباد على أسس جديدة غير محكمة بأحكام العرف والتقاليد إلا بما يضمن انسجامهما مع إن الدعوة الإسلامية لم تقم على المحاكاة والتقليد بقدر ما ومن ثم التطبيق القائم على الاقتناع وذلك لكون الإسلام ديناً متكاملًا يمثل خاتم الأديان والدلائل البشرية والقوانين الطبيعية والحياة، فالتربية المستمرة لهذا والعلماء، في الوقت الذي تراهم يستنبطون الأحكام الدينية في التعلم والتعليم ونشر العلم التزاماً بالشريعة واجتهاداً مبرراً فيها، ولولا هذا التأكيد أيضاً لما كنا نجد هذا الحشد الكبير من الفقهاء والعلماء سلوكهم اليومي. ديني فضلاً عن كونها مطلباً حياتياً، فالدعوة الإسلامية تمتاز عن للمرحلة العمرية إلا بما يتناسب والمدرجات العقلية والقدرات الفكرية الاجتماعي. لا يمكن من خلال إثبات كونها تمثل في مداها القريب (مسئولية فردية) وفي مداها البعيد (مسئولية اجتماعية). الأساسية في الإسلام. حيث كانت تنحوا نحو إسعاد الفرد في دنياه وآخره، وإن سعادة المجتمع مقرونة بمدى تكاملية هذه العملية ومدى تحقق أغراض التعليم الدينية والدنيوية. قال تعالى: "وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك وقوله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون". درجات". وقوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء". "وقل رب وفي الأحاديث الشريفة: الناس رجالان: عالم ومتعلم، ولا خير فيما سواها). وهنا تأكيد واضح على طلب العلم والاستمرار في هذا الطلب دون تحديد للمرحلة العمرية أو لطبيعة المعرفة العلمية والإنسانية المطلوبة. إن استنباط المسؤولية الفردية في التعليم يقوم على أساس من التأكيدات

المباشرة على طلب العلم ونشره من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، فضلا عن أن الدين الإسلامي قائم فمطلوبات أداء وفي العمل وطبيعة التعايش الاجتماعي تفرض على الفرد (شاء أم أبى) الانسحاق نحو التعلم بأية صورة من الصور وبأي مستوى من وإن كان التأكيد كبيراً على عدم الانقطاع عن التعلم في متعلم، فالعملية التعليمية مستمرة ما دامت القدرة التعليمية قائمة وما دام العلم في تطور واتساع نتيجة ذلك. فالمسؤولية الفردية قائمة ومستمرة ما دام العلم وطلبه مطلباً رئيساً من مطالب التدين والتمدن. فتبدو من خلال الأمور الآتي: سلامة النظام الاجتماعي وسلامة تطبيق بحكم الضرورات الدينية بطلب العلم ومسئول بحكم الضرورات الحياتية بالاستزادة فيه، ومسئول بحكم الضرورات الاجتماعية بدعوة غيره إليه ونشره. فضلا عن أن المبادئ الأساسية في التكافل الاجتماعي الإسلامي تحت ضرورة التعاون في توفير الفرص التعليمية لأفراد المجتمع الثاني: التأكيد على أن المسؤولية الفردية في التربية لا تقف عند حدود طلب العلم والاستزادة فيه بل يتعدى ذلك إلى مسؤوليته في وبالشكل الذي حياتي للمجتمع. الثالث: إن التأكيد على العلم لم يرد في مجمل الشواهد النصية سواء في النصوص القرآنية أو في الأحاديث النبوية إلا مقروناً بالعمل. (فالعلم والعمل به) هو الأساس في مثل هذا التأكيد، والمنفعة التأكيد عليه من المسؤولية الاجتماعية: داء رضي الله عنه أن أعلمت أم عملت فيمت علمت؟ وإن قلت جهلت قيل لك: فما كان عذرك فيما جهلت؟ ألا تعلمت". وروي أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سئل عن علم فكتمه الجرم يوم القيامة وعن عبد الرحمن بن أبيزى قال: خطب رسول بلجام من نار) ولا يعظونهم؟ ولا يأمرونهم؟ ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون. أو لعاجلتهم العقوبة". روي مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). وروي الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع). كما روي الطبراني عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر). قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم). وحسبنا أن نستدل من هذا الحديث أن العلم في نظر الرسول وتتضح من الأحاديث الشريفة السابقة توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمته في: تعلم ما لا غنى في حياة كل فرد من أفراد الأمة. العمل بمقتضى العلم (أي حدوث عملية التعلم أو التدبير في السلوك بالمفهوم الحديث). إن الفرد لا يستطيع التهرب من مسؤوليته الاجتماعية في طلب العلم ونشره والعمل به. وهذا آت من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يبصرهم بمسئولياتهم لكي يتبين كل منهم حالة ويتصور مصيره، لذا نجده عليه الصلاة والسلام يقوم بتعليم الصحابة بأمور دينهم، ويتولى إرشادهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ويحذرهم من البقاء على الجهل وينذرهم بالعقاب الشديد في حالة كتم العلم وعدم إفادة السائلين عنه. وفي القرن الرابع الهجري تصدى القابسي القيرواني (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) إلى مسألة مؤداها أن تعليم جميع أبناء المسد لمين أغنياء كانوا أو فقراء). واجب إجباري وقد تطرق القابسي أيضا إلى التزام المجتمع بالزامية التعليم حيث أجاب عن سؤال حول حالة الوالد الذي يمتنع عن إرسال ابنه إلى الكتاب لتلقي دليلا شرعيا من الكتاب أو السنة أو الإجماع يوجب عقاب الوالد في حالة امتناعه عن إرسال ولده إلى التعليم، فقد امتنع لإقرار الإجماع، ولكن له فضل السبق في عرض هذه المسألة الخطيرة على بساط البحث والمناقشة وبذلك فتح باب واسع للفقهاء فسر (الغزالي) الحديث الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم) بقوله: أن الناس اختلفوا في العلم المفروض على كل مسلم، وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ تعرف به العبادات والحلال والحرام، وقال المتصوفون إنه المراد به هذا العلم، أما رأي الغزالي فيه فإنه علم المعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل به، أما فرض الكفاية فهي تلك العلوم التي تستوجب معرفتها للاستزادة في معرفة الدين كاللغة والنحو والتفسير والحساب . الخ. كما أشار (ابن رشد) إلى أنه (كما يجب على المتعلم التعلم فكذلك يجب على العالم التعليم) مستندا إلى قوله تعالى: (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون). يرى (الغزالي) إن العلم الذي لا يستعمله الإنسان في نفع البشر إنما هو علم عديم القيمة، وهو يضع مراتب العلم فيقول إن العلم يجب أن يقتزن بالعمل والعمل والإخلاص فيه ولا أدل على ذلك من قوله في فاتحة العلوم (الناس كلهم هلكي إلا العالمون و العالمون كلهم هلكي إلا العاملون كلهم هلكي إلا المخلصون. هل كان للتربية المستمرة مفهوم واضح في التراث يمكن ويمكننا أن نجيب: إن التربية المستمرة كانت واقعا معاشا بحكم الضرورات الدينية والحياة الاجتماعية. والشواهد كثيرة على ذلك وإن لم تنشر في بعضها إلى بروز هذا المفهوم كالذي نفهمه اليوم، إلا أنه يثبت بما لا يدعو إلى الشك، إن التربية من خلال التنشئة الاجتماعية والتعلم المستمر، لم يكن لها سقف زمني أو

حدود تنتهي إليها ومع أنها كانت (في أغراضها) تتأرجح بين الفردية تارة والاجتماعية تارة أخرى، إلا أنها استمرت كعرف ديني واجتماعي وإن كانت الظروف الاجتماعية في بعض الأحيان تعرقها أو تمنع انسيابيتها في حياة الأمة وأفرادها كافة. عرف منهج التعليم في الإسلام للكبار والصغار على حد سواء المواد العامة التي يجب أن يدرسها الناس جميعاً، والمواد المتخصصة، والتي تخضع لميول المتعلم واهتماماته، قبل أن تعرفها الحضارة الغربية الحديثة، بحوالي اثني عشر قرناً من الزمان. هذا النحو في الإسلام، مختلفاً عنه في الحضارة الغربية المعاصرة. له مواصفات معينة، ولتوفر فرصة اكتشاف المواهب والإمكانيات، في مرحلة التخصص التالية. أما في الإسلام، فإن الهدف الأساسي من التربية الإسلامية، هو خلق هذا (المواطن الصالح) والاهتمام بنموه العقلي والجسدي والنفسي،